عندما تواجهنى مشكلة فإننى أحرص كل الحرص على استبعاد الانفعال والتشنج فى أقوالى وقراراتى.. والأهم من هذا كله أننى لا أفكر للمشكلة- أية مشكلة – فى حل واحد لها.. بل لابد من التفكير فى أكثر من حل .. فإذا فشل الحل الأول.. جربت الحل الثانى.. ثم الحل الثالث.. وهكذا.

مليون حل.. لأى مشكلة

قلت لشاة إيران أن الفرس والعرب هم الحلفاء الطبيعيين، جغرافيا، ودينيا، ومصريا. ولابد من التحالف فى مواجهة أطماع القوى الأجنبية التى تخطط لالتهام منطقتنا، لما تختزنه من احتياطى البترول الذى يقدر بنحو ٦٠% من احتياطى البترول فى العالم.

قلت للشاة أن علينا أن نصفى خلافاتنا فيما بيننا. وقتها كانت مشكلة الجزر الثلاث المتنازع عليها بين إيران والإمارات العربية. واقترحت على الشاة أن يبادر فيتصل بالشيخ زايد- حاكم دولة الإمارات- ليبحث معه المشكلة، حتى يمكن التوصل إلى حل لها ننهى به الخلاف قبل أن يستعصى ويتفاقم.

فمن رأيى أن الشيخ زايد رجل طيب، ومتفهم، ومعقول إلى درجة كبيرة. والرجل صديق عزيز لى، وقد عرفته، وتوطدت الصداقة بينى وبينه بسرعة. ولهذا السبب نصحت شاه إيران بأن يبدأ بالاتصال بالشيخ زايد.

واستمع الشاه إلى نصيحتى، ووعدنى بالتفكير فيها.

وانتهت زيارته لنا فى مصر. وعاد إلى بلاده. وتكرر اللقاء، وفى هذه المرة سافرت أنا لزيارته فى طهران فى سنة ١٩٧٦. أمضيت معه يوما واحدا. وفى يوم سفرى فى اليوم التالى، وصل الشيخ زايد إلى العاصمة الإيرانية. وعرف أننى فى طهران. فاتصل بى وقال لى بأدبه المعروف عنه:

سأحضر يا أخ أنور لمقابلتك.

فاعترضت قائلا:

لا يا شيخ زايد. أننى هنا فى طهران من قبل ولهذا السبب فإننى سأحضر لمقابلتك فى مقر إقامتك.

وبالفعل توجهت إلى قصر الضيافة الذى خصص لإقامة الشيخ زايد خلال زيارته لطهران. وتحدثنا معا. واعدت عليه ما سبق أن قلته لشاه إيران حول الجزر الثلاث والمشكلة التى أثيرت حولها. وكان من رأيى أن نعالج هذه المشكلة بهدوء شديد. فالتشنج لا ينفع معها، ولا مع أصحابها. فإذا تنشنج الجانب العربى. فمن الطبيعى أن يتشنج الجانب الإيرانى.

وإذا انفعل الشاه، فمن البديهى أن ينفعل الشيخ زايد. والتشنج. والانفعال، لن يحلا المشكلة أن لم يزيدا من تعقيدها وصعوبتها.

وكما اقتنع الشاه برأيى، وافقنى الشيخ زايد على فمن البديهى أن ينفعل الشيخ زايد. والتشنج. الانفعال، لن يحلا المشكلة أن لم يزيدا من تقعيدها وصعوبتها.

وكما اقتنع الشاه برأيي، وافقنى الشيخ زايد على ضرورة البحث عن حل لمشكلة الجزر فى هدوء. وبلا شعارات جوفاء. وبلا تشنج لا يفيد ولا يحل أى شيء.

وهذا ما أفعله دائما فى مواجهة المشاكل والقضايا. مهما تصور البعض استحالة المواجهة. وصعوبة الحل. فعندما تواجهنى مشكلة فإننى أحرص كل الحرص على استبعاد الانفعال والتشنج فى أقوالى، وقراراتى، والأهم من هذا كله أننى لا أفكر للمشكلة – أية مشكلة– فى حل واحد لها. لابد من التفكير فى أكثر من حل فإذا فشل الحل الأول. جربت الحل الثانى، ثم الحل الثالث. وهكذا.

وهذا ما قلته للشاه.. وللشيخ زايد، طلبت منهما أن يبحثا معا المشكلة بكافة أبعادها، ثم يطرح كل واحد منهما الحل الذى يراه مناسبا. فإذا اتفقنا كان بها. وإلا فعليهما البحث عن الحل البديل الثانى، والثالث، والرابع.

لقد تعلمت أن النية الصافية، تساعد كثيرا جدا فى توفير المناخ الملائم لحل أصعب القضايا وأكثرها تعقديا.

وهذا ما حدث عندما بدأت أفكر فى كيفية حل اعقد، وأصعب، مشكلة واجهتنا وهى مشكلة الصراع العربى الإسرائيلى. حقيقة أن المشكلة لم تحل الحل الشامل. ولكن من المؤكد أننا استطعنا أن نضع أقدامنا على بداية الطريق الصحيح. والسليم، الذى سيقودنا إلى الحل العادل والشامل الذى نسعى إليه.

ولم تكن البداية سهلة..

www.anwarsadat.org

بدأت فى سنة ١٩٧٧ عندما دعانى الرئيس الأمريكى كارتر لزيارته فى فبراير.. أى بعد توليه حكم الولايات المتحدة بشهر واحد. وكانت مشكلة الصراع العربى الإسرائيلى هى أساس مباحثاتنا فى واشنطن. وكان جدول الأعمال – لتلك المباحثات– يتضمن ثلاث نقاط.

النقطة الأولى: مشكلة الأرض العربية المحتلة بعد حرب ١٩٦٧.

والنقطة الثانية: العلاقات بين العرب والإسرائيليين.

النقطة الثالثة: القضية الفلسطينية. باعتبارها الحل لجميع المشكلات الأخرى.

وقد أضفت أنا نقطة رابعة إلى جدول الأعمال عن الوضع فى لبنان. ففى هذا الوقت كانت الحرب الأهلية قد اشتعلت فى لبنان. ووضح تورط الكثيرين فى تلك الحرب.

ولم نختلف كثيرا عندما تناقشنا فى النقطة الأولى. الخاصة بالأرض العربية المحتلة بعد حرب ١٩٦٧.

ولكننا اختلفنا كثيرا عند النقطة الثانية. وجاء الاختلاف عندما قلت لكارتر.

"كيف تطالبنا بإقامة علاقات طبيعية مع الإسرائيليين، فى الوقت الذى يحتلون فيه أرضنا؟ أن إسرائيل تتمسك بإقامة العلاقات الطبيعية، قبل الاتفاق على الانسحاب، لا لشيء إلا بهدف دعم الاحتلال، واستمراره. تماما كما كانوا يفعلون عندما اخترعوا أكذوبة أمن أرضنا؟ أن إسرائيل تتمسك بإقامة العلاقات الطبيعية، قبل الاتفاق على الانسحاب، لا لشيء إلا بهدف دعم الاحتلال، واستمراره. تماما كما كانوا يفعلون عندما اخترعوا أكذوبة أمن إسرائيل، عن طريق احتلال أرض الغير. وجاءت حرب أكتوبر فأثبتت فشل نظرية الأمن الإسرائيلى، وبالتالى اخترعوا عذرا جديدا هو مطالبتهم بإقامة علاقات طبيعية مع العرب قبل الاتفاق على الانسحاب.

وقلت لكارتر أيضا:

من المستحيل أن تطالبنا إسرائيل بتطبيع العلاقات معها قبل الاتفاق على إنهاء الاحتلال وبعد وضع الجدول الزمنى لمراحل الانسحاب الكامل عن الأراضى العربية المحتلة. أما أن نتحدث عن تبادل العلاقات وتطبيعها، فى الوقت الذى يستمر فيه الاحتلال الإسرائيلى فوق أرضنا، فهذا ما لا يقبله عاقل واحد فى الأمة العربية.

www.anwarsadat.org

وتناقشنا طويلا فى هذه النقطة، ولم يستطع كارتر أن يقنعنى بوجهة نظره. ولكن هذه الزيارات كانت هامة جدا. فقد تعاقدنا معا على أن نعمل سويا من أجل حل مشكلة الصراع العربى الإسرائيلى، مهما كلفنا هذا من متاعب.

وأذكر أننى قلت لكارتر بالحرف الواحد:

"لن نيأس أبدا. وكل مشكلة ستواجهنا، سنجد لها حلا بالقطع. المهم أن نحرص على الاتصال المباشر فيما بيننا، لتبادل الرأى فى كل خطوة نخطوها من أجل حل القضية". وكان كارتر صادقا فى وعده معى.

كان يريد أن يشارك فى حل القضية، حلا عادلا، وشاملا، ويرضى جميع الأطراف. ويكفى أنه أول رئيس أمريكى لا يتورع عن المطالبة بحق الشعب الفلسطينى فى إيجاد وطن قومى له. لم يجرؤ كارتر صادقا فى وعده معى.

كان يريد أن يشارك فى حل القضية، حلا عادلا، وشاملا، ويرضى جميع الأطراف. ويكفى أنه أول رئيس أمريكى لا يتورع عن المطالبة بحق الشعب الفلسطينى فى إيجاد وطن قومى له. لم يجرؤ رئيس أمريكى– قبل كارتر – ليعلن مثل هذا الرأى. كارتر وحده هو الذى وقف بشجاعة وقال رأيه بكل قوة. فاكتسب على الفور كراهية وعداء الصهيونية العالمية.. وبذلك كل ما فى وسعها من أجل التخلص منه، وتحطيمه تحطيما.

ونفهم أن يواجه كارتر بالعداء من جانب الصهاينة، والإسرائيليين.. ولكن غير المفهوم هو أن يقف العرب موقفا عدائيا من الرئيس الأمريكى الوحيد الذى طالب بوطن قومى للشعب الفلسطينى، الذى لم يفكر فيه أحد منذ أيام الرئيس الأمريكى هارى ترومان الذى قامت دولة إسرائيل – لأول مرة– فى عهده، وحتى وصول كارتر إلى الحكم.

أذكر أن الأمير فهد ذهب إلى واشنطون وقال للرئيس كارتر:

"أطمئن .. لقد وافق ياسر عرفات على الاعتراف بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢. وإليك توقيع عرفات على هذا الاعتراف المكتوب".

وفى اليوم التالى مباشرة. يقف ياسر عرفات ويعلن انه لم يعترف بقرار ٢٤٢، وأنه لم يتحدث مع الأمير فهد فى هذا الموضوع.

وثار الأمير فهد، وغضب غضبا شديدا من ياسر عرفات. وعاد إلى السعودية بعد انتهاء زيارته للولايات المتحدة، وأصدر بيانا يعتبر من أعنف البيانات التى صدرت عن الحكومة السعودية وضد منظمة التحرير الفلسطينية.

واستند فهد فى بيانه العنيف إلى الورقة التى وقع عليها عرفات اعترافه وقبوله بقرار ٢٤٢. وكان فهد يعلم مقدما كيف يتعامل مع عرفات وأعوانه، فهو لا يقبل كلامهم إلا مسجلا، وموقعا منهم، ليستند إليه إذا تنكروا لما اتفقوا على قبوله.

هذا ما لم أفعله- للأسف الشديد- فى جميع معاملاتى مع عرفات وباقى أعوانه من الفلسطينيين. كانوا يجلسون معى، ويتفقون على قضايا. وعلى قارات، فإذا أعلنتها بعد ذلك سارعوا بالتملص منها، وأنكروا الاتفاق عليها، ونددوا بها، وللأسف الشديد لم أكن استخدم معهم أسلوب التوقيع على الأوراق الذى استخدمه السعوديون معهم.

وما فعله الفلسطينيون مع كارتر، فعله أيضا السوريون.

لقد حيروه، ودوخوه، واتبعوه.

فى بادئ الأمر اتفقوا مع كارتر على أن يذهب العرب فى وفقد واحد للتفاوض مع الإسرائيليين، بدلا من الذهاب فى وقود عديدة تمثل جميع الدول العربية المعنية. ووافق كارتر على هذا الاقتراح السورى. وأرسل لى كارتر ليسألنى رأيى فى هذا الاقتراح. وكنت أعرف المناورات السياسية التى يدمنها السوريون. ولذلك رفضت هذا الاقتراح وقلت لكارتر.

لا .. لن نذهب فى وفد واحد للتفاوض .فمعنى هذا أننا لن نفعل شيئا، ولن نحقق أى شيء وسيتحول المؤتمر إلى قاعة لإطلاق الشعارات والمزايدات التى لا تنتهى.

وتوقف كل شيء نتيجة لإصرار سوريا على طلبها واضطر كارتر إلى الاتصال بى بعد فترة ليحاول مرة أخرى إقناعى بقبول وجهة نظر سوريا، فقال لى.

ذهاب العرب فى وفد واحد سوف يفيد الفلسطينيين. فمن الممكن فى هذه الحالة أن يمثل الشعب الفلسطينى فى هذا الوفد العربى. ولن تعترض إسرائيل على وجود ممثل فلسطين. أما إذا اشترك الفلسطينيون فى وفد خاص بهم فإن إسرائيل لن تقبل.

وكنت أعلم أن هذه هى مناورة أخرى من السوريين. وعلى الرغم من ذلك فقد وافقت على طلب كارتر، وقبلت أن نذهب- كعرب- فى وفد واحد إلى المؤتمر الذى كنا نسعى إلى عقده.

واسقط فى يد حكام سوريا. فوجئوا بموافقتى، واصبحوا الآن فى موقف محرج للغاية. فالطريق إلى المؤتمر أصبح ممهدا وسهلا. و هم فى الحقيقة لا يريدون هذا المؤتمر أبدا. فما كان منهم إلا أن رجعوا فى كلامهم ورفضوا الاشتراك فى وفد عربى واحد، وتحدثوا عن احتمال الاشتراك بأكثر من وفد. ثم أثاروا مشكلة كيفية اختيار تلك الوفود.. ومن يشترك فيها ومن.. ومن .. إلى آخر الحكايات والاعتراضات والاقتراحات التى لا تنتهى.

ولم يعرف كارتر كيف يتصرف مع السوريين فهذه هى أول مرة يتعامل فيها معهم. وظن أن كلمة واحدة يتفق عليها تصبح نافذة المفعول. ففوجئ بأن كلمة السوريين عبارة عن ألف كلمة وكلمة، والذى يتفقون عليه اليوم، يرفضونه غدا، ثم يعودون إليه بعد غدا.

وازدادت حيرة كارتر ولم يعرف ماذا يفعل؟ وأمسك الرجل بقلمه وكتب بخط يده رسالة. أرسلها لى مع مندوب خاص، ولم يعلم أحد عن هذه الرسالة أى شيء، لدرجة أن السفارة الأمريكية فى القاهرة والسفارة المصرية فى واشنطن لم يخطرا بأمر هذا المندوب حامل الرسالة الخطية.

وقرأت خطاب كارتر الذى اعترف فيه بحيرته من تلك المناورات السياسية التى لا يفهم أهدافها جيدا فالرجل يعمل من أجل حل القضية. وتصور أن هذا وحده يكفى ليلقى كل تعاون وامتنان مع جميع الأطراف المعنية، ففوجئ بتلك المناورات والتعقيدات التى أذهلته وأعجزته عن فهمها.

وكتبت ردا على رسالة كاتر.

قلت له أن يطمئن، فأنا مازلت متمسكا بما تعهدنا على القيام به أثناء زيارتى له فى البيت الأبيض، وأكدت له أننا سنعثر على الحل ليس فقط للخروج من تلك الدائرة المفرغة التى يحاولن دفعنا داخلها والبقاء فيها إلى الأبد، وإنما أيضا للتوصل إلى الحل الشامل للقضية الكبرى. قضية الصراع العربى الإسرائيلى.

هذا ما قلته لكارتر فى رسالتى. واعترف هنا أننى كتبت هذا الرد ولم يكن فى ذهنى- وقتها- أى تصور لهذا الحل الشامل الذى تحدثت لكارتر عنه. كل ما كان عندى هو النية الطيبة، والإصرار على التفكير فى إيجاد الحل للمشكلة المستعصية.

جلست أفكر، وأستجمع أمامى جميع الاحتمالات. فالقضية صعبة، وضخمة وحلها يجب أن يكون هو الآخر صعبا وضخما.

ومن الصحف التى كنت أطالعها فى هذا الوقت. عرفت أن مناحم بيجين وقد نجح فى الانتخابات وأصبح رئيسا لوزراء إسرائيل ينوى أن يسافر إلى رومانيا لمقابلة رئيسها شاوشيسكو.

وشاوشيسكو من أقرب أصدقائى القدامى. وكان صديقا لجمال عبد الناصر أيضا. وكثيرا ما ألح شاوشيسكو على عبد الناصر ليسمح له بالقيام بدور الوساطة بينه وبين الإسرائيليين. وكان عبد الناصر يشعب بكثير من الحرج بسبب إلحاح الرئيس الرومانى. وكان جمال يتخل من هذا الحرج فيقول لشاوشيسكو:

أذهب أنت وتحدث مع الإسرائيليين نيابة عنى:

وعندما توليت بعد رحيل عبد الناصر، عرض على شاوشيسكو ما سبق أن عرضه على عبد الناصر ناصحا لى بالتفاوض مع الإسرائيليين. وكنت اعتذر له فى كل مرة وأقول له:

لم يحن الوقت بعد لمثل هذه الخطوة.

وكنت أحرص على لقاء شاوشيسكو فى كل مرة أسافر فيها إلى أوروبا. وفى زياراتى لرومانيا كنت أقيم فى مقاطعة أسمها سينايا، وسبب هذه التسمية أن ملك رومانيا كان قد زار سانت كاترين فى سيناء فأعجب بها، وعندما عاد إلى بلاده طلب أن يقام نموذج مصغر لسانت كاترين فى المنطقة الجبلية.

وأسماها سينايا.. وهذه المنطقة من أجمل بقاع الدنيا بجبالها الخضراء.. ومياهها المتدفقة. ومناظرها البديعة, وفى كل مرة أزور فيها تلك المنطقة. أقف مشدوها أمام روعة الخالق الذى أبدع مثل هذا الجمال الطبيعى. الذى لا فضل لعقل أو يد إنسان يه.

وكثيرا ما كنت أقول لشاوشيسكو مازحا:

قريبا عندما تعود إلينا سيناء مرة أخرى، سأدعوك لزيارة سانت كاترين الأصلية.

أعود إلى القضية، فاقول أننى قرأت أن بيجين سوف يزور رومانيا قريبا. وجاءتنى الفكرة بعد قراءة هذا الخبر. تذكرت أن بيجين كثيرا ما كان يتحدى العرب بقوله.

أعود إلى القضية، فأقول أننى قرأت أن بيجين سوف يزور رومانيا قريبا. وجاءتنى الفكرة بعد قراءة هذا الخبر. تذكرت أن بيجين كثيرا ما كان يتحدى العرب بقوله:

أنتم يا عرب لديكم مشكلة معنا. فأرضكم تحت قبضتنا. ولديكم حقوق تتحدثون عنها وتطالبون بها. فهل يمكن أن يتحقق هذا. دون أن تأتوا وتجلسوا معنا أمام مائدة مفاوضات واحدة؟ ونفس هذا السؤال سبق أن وجهته جولدا مائير للعرب من قبل بيجين وكان العالم يردده معها.

فصورتنا كانت كئيبة حقيقة أمام أنظار العالم كله. فنحن نطالب بأرضنا، ونرفض أن نطلبها ممن يحتلها، ونطالب بحقوقنا. ونرفض الجلوس مع الذين حرمونا منها.

كل ما كنا نفعله– وما زال العرب يفعلونه حتى يومنا هذا – هو أن نجلس فى عواصمنا ونوجه الإنذارات إلى إسرائيل والى أصدقاء إسرائيل. وفى كل يوم نسمع زعيما عربيا يهدد حكام إسرائيل ويطالبهم بإعادة الأرض المحتلة فورا. وإلا.. ثم يوجه إنذارا ثانيا إلى أمريكا بالضغط على صنيعتها إسرائيل.. والا.

ويسمع العالم هذه التهديدات، وتلك الإنذارات ويسخر منا ومن أسلوبنا العجيب فى الحصول على حقوقنا واسترداد أرضنا المحتلة.

لقد خضنا حرب أكتوبر. وكتب الله لنا النصر فيها. وأثبتنا– بهذا الانتصار– ذاتنا واستعدنا ثقتنا فى قدراتنا. فلماذا إذن لا نترك الشعارات جانبا. ونفكر جيدا فى حل القضية بأسلوب عصرى يقبله العالم المتحضر. ويشجعنا عليه؟.

ويسخرون منا ومن أسلوبنا العجيب فى الحصول على حقوقنا واسترداد أرضنا المحتلة.

وتذكرت كيف كان شاوشيسكو يلح علينا من قبل للتفاوض مع الإسرائيليين.

ولم أفكر فى شاوشيسكو كوسيط لنا يتفاوض باسمنا، وإنما فكرت فى اقتراحه لنا بالتفاوض مع إسرائيل. وقررت: أن على مصر أن تأخذ قضيتها فى يدها هى، ولا تتركها فى يد الآخرين. أما شاوشيسكو فإنه يستطيع أن يقيدنى فى هذا الأمر على نحو ما..

أما ماذا انتظره من الرئيس الرومانى، فهذا حديث الأسبوع القادم.

أنور السادات

www.anwarsadat.org